تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 1- سورة مريم | من الأية 1 إلى 6

عبدالرحمن العجلان

ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك ربي شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا - 00:00:00

وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله ربي رضيا هذه السورة العظيمة تسمى سورة مريم وتسمى باسم اولها سورة كاف اها يا عين صاد - 00:00:33

وهذه السورة مكية نزلت بمكة قبل ان يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقد حصل الاتفاق بين علماء التفسير علماء القرآن بتسمية السور ان ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة - 00:01:09

يسمى مكي وان نزل على الرسول خارج مكة وما نزل بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة يسمى مدني وان نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة - 00:01:53

او في غيرها من البلدان خارج المدينة وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعن ابن مسعود وعن ام سلمة رضي الله عنها رضي الله عن الجميع ان هذه السورة - 00:02:20

مكية وقالت ام سلمة رضي الله عنها فيما رواه الامام احمد رحمه الله وغيره لما ذهب المهاجرون الاولون من مكة الى الحبشة وكان كبيرهم جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وارضاه - 00:02:47

ووفدوا على النجاشي واكرم وفادتهم رضي الله عنه شعل النجاشي جعفر بن ابي طالب هل معك شيء مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقرأ عليه صدرا - 00:03:22

من سورة مريم هذه السورة حتى افضل لحيته بالدموع لما سمع القرآن وكذا من معه من الاساقفة علماء النصارى بكوا بما سمعوا من القرآن والله جل وعلا يقول ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى - 00:03:48

ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وقيل ان هذه الاية - 00:04:33

نزلت في النجاشي ومن معه لما سمعوا القرآن من جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فهذه السورة نزلت قبل هجرة المهاجرين من مكة الى الحبشة يقول الله جل وعلا - 00:04:59

هيا عين صاد هذه الحروف المقطعة في اوائل السور تكلم فيها العلماء رحمهم الله وقد تقدم الكلام على شيء من اقوالهم في اول سورة البقرة لانها المبدوءة بقوله جل وعلا الف لام ميم. ذلك الكتاب لا ريب فيه - 00:05:33

قال بعض العلماء رحمهم الله الله اعلم بمراده بذلك ولم يتعرضوا لها بتفسير وقال بعضهم مرادا بها التعجيز والتحدي لكفار قريش بان هذا القرآن الذي اعجزكم ونتحداكم فيه هو مؤلف من هذه الحروف التي تنطقون بها - 00:06:13

لم يأتي بشيء غريب ما تستطيعون النطق به وقد تحداهم الله جل وعلا بان يأتوا بمثله ثم تحداهم بان يأتوا بعشر سور من مثله ثم تحداهم بان يأتوا بسورة من مثله - 00:07:00

فعجزوا وهم البلغاء الفصحاء وذلك ان كلام الله جل وعلا لا يستطيع البشر مهما اوتوا من الفصاحة والبلاغة بان يأتوا بمثله ولولا ان

الله جل وعلا يسره وسهله علينا ما استطاع المخلوقون ان يتكلموا به - 00:07:28
ولكن الله جل وعلا من لطفه بعباده وتيسير امور دينهم ان يسر هذا القرآن لهم كما قال الله جل وعلا ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فيسره الله جل وعلا وسهله - 00:07:58
على العرب والعجمي تجد العجمي الذي لا يستطيع النطق بكلمة عربية ينطق بالقرآن نطقا فصيحا صريحا فاذا خاطبته بكلمة عربية خارج القرآن ما استطاع ان يفهم ما تقول تيسير من الله - 00:08:25
وتسهيل لعباده ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال بعضهم ما رؤي عن ابن عباس رضي الله عنه ان هذه الحروف اسماء من اسماء الله جل وعلا يقول كاف عين صاد - 00:08:51
اسم من اسماء الله وقيل هي اسم من اسماء القرآن او اسماء السور التي افتتحت بها تقول سورة الف لام ميم السجدة سورة الف لام ميم البقرة سورة كاف هيا عين صاد - 00:09:22
اسم من اسماء السور وقيل هي ترمز الى اسماء الله جل وعلا فكل حرف يشير الى اسم من اسماء الله جل وعلا فالكهف ترمز الى اسم الكريم. كما روي عن ابن عباس - 00:09:54
والكبير كبير وكريم والهاء ترمز الى اسم الهادي والياء ترمز الى اسم رحيم والعين ترمز الى اسم عليم والصاد الى اسم صادق من اسماء الله جل وعلا وقيل معناه كاف لخلقه - 00:10:24
هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده فكل حرف يرمز الى كلمة يراد بها تعظيم الله جل وعلا ذكر رحمة ربك عبده زكريا زكريا نبي عظيم من انبياء بني اسرائيل - 00:11:06
على نبينا وعليه وعلى اخوانهم من النبيين افضل الصلاة والسلام ويروى انه عليه الصلاة والسلام كان نجارا يأكل من عمل يده وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في ان يأكل المرء من عمل يده - 00:11:45
لانه من احل انواع الكشف وذكر يصح ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده ويصح ان يكون خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا ذكر رحمة ربك ومبتدعه هذا والمعنى في هذه الايات - 00:12:22
يذكر رحمة ربك عبده زكريا رحمه الله جل وعلا ولطف به فاستجاب له دعاءه ورزقه الذرية الصالحة الولد الصالح بعد ما كبر واصابه الضعف وامرأته عاقرا لا تلدوا حينما كان سنها - 00:13:07
قابلة للولادة فما كانت تلد فلطف الله بهما فرزقهما الولد بعدما كبر ذكر رحمة ربك عبده وصفة العبودية افضل صفة يتصف بها عبد لله جل وعلا كلما حقق العبد معنى العبودية الحقة - 00:13:51
نال الصفة العظمى ونبينا صلى الله عليه وسلم موصوف بصفات الكمال بالنسبة للبشر فهو نال اعلى الصفات التي يمكن ان ينالها بشر اما صفات الخالق جل وعلا فهي لا تصلح لمخلوق ولا تليق بمخلوق مهما كان علو مرتبته ومنزلته عند - 00:14:42
الله جل وعلا الله جل وعلا موصوف بصفات الكمال التي لا تشبه صفات المخلوقين والخلق يتفاوتون في صفات في الصفات التي يمكن ان يتصف بها البشر ونبينا صلى الله عليه وسلم - 00:15:18
مال الصفة العليا من صفات البشر صلوات الله وسلامه عليه وقد وصفه الله جل وعلا بالعبودية في افضل المواطن وقال جل وعلا سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى - 00:15:47
عند ذكر صفة الاسراء وصفه جل وعلا بصفة العبودية وعند انزال الكتاب عليه قال جل وعلا الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ان نزول الكتاب وصفة الوحي والرسالة وصفه جل وعلا بالعبودية - 00:16:17
وحال الصلاة والسجود لله جل وعلا وهي اقرب ما يكون العبد من ربه وصف الله جل وعلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالعبودية فقال وانه لما قام عبد الله - 00:16:50
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا. اي الجن لما قام يصلي عليه الصلاة والسلام وقرأ القرآن تجمع عليه الجن يستمعون لقراءته وانه لما قام عبد الله وهنا وصف الله جل وعلا زكريا على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بالعبودية - 00:17:16

فقال ذكر رحمة ربك عبده زكريا ثم بين جل وعلا ما رحمه به استجابة دعائه فقال اذ نادى ربه نداء خفيا. من هو زكريا عليه السلام اذ نادى ربه دعا ربه - 00:17:52

دعاء ونداء خفيا سرا لم يطلع الناس على ندائه هذا لم لم يطلع عليه من مهئه من المؤمنين ويجعلهم يؤمنون على دعائه لم يطلعهم وانما كما روي انه دعا وقت السحر - 00:18:27

في قيام الليل حالة نوم الناس لما كان هذا الدعاء خفية لامور اولا ان المؤمن اذا ايقن ان الله جل وعلا يستوي عنده السر والجهر فهذا ايمان بسعة علم الله جل وعلا وشموله - 00:18:59

فالمؤمن اذا ايقن ان السر والجهر عند الله سواء فهذه صفة حسنة ثانيا ان السر اقرب للاخلاص لله جل وعلا وكلما اشر العبد في دعائه وتضرعه الى الله جل وعلا - 00:19:49

هو اقرب الى اخلاصه لله جل وعلا بالعبادة ثالثا ان زكريا عليه السلام يتضرع الى الله جل وعلا بان يجعل له وليا من بعده ولم ينطق بالولد وانما طلب ان يكون له ولي - 00:20:23

وقد روي انه حينما رزق بيحيى كان عمره بضع وتسعون سنة قرابة المئة وزوجته قريبة من ذلك ودعا بالولد وبالشيء السائر بين الناس ان الذي يمكن ان يولد له يدعو الله جل وعلا ان يرزقه الذرية الصالحة - 00:20:54

لكن اذا قارب المئة وزوجته قريب من ذلك لو دعا بان يرزق ولد وليس عنده الا هذه الزوجة فقيل ان هذا من الجهل فخشية ان ينتقد عليه او يوصف بالتجهيل - 00:21:31

اشر واخفى دعاءه عليه السلام او قد يقال انه قصد بالولد عزة الدنيا والانتفاع به في الدنيا وهذا امر من امور الدنيا ولا ينبغي النبي ان يسأل شيئا من امور الدنيا او مما يتعزز به في الدنيا - 00:21:57

فلان لا ينتقد عليه في هذا او هذا اخفى واسر دعاءه لله جل وعلا وعلى كل فكلما اسر العبد فهو احرى للاجابة اذ نادى ربه نداء خفيا قال ربي اني وهن العظم مني - 00:22:30

وهنا بمعنى ضعف ضعف العظم والعظم هو اقوى شيء في الانسان اشد شيء فيه عظامه فاذا ضعفت العظام فسائر الجسم من باب اولى بالظعف وقال عظم ليراد به الجنس يعني كل عظامي - 00:23:12

فيشمل الجميع ولم يقصد بذلك ضعف عظام الظهر او عظام القدم او عظام الرأس وانما قال وهن العظم مني انس العرض كل العظم الذي في وهنا وضعف وذلك من الكبر - 00:23:53

عليه السلام انه كان فيما رؤي ما بين التسعين والمئة بضع وتسعون سنة وانا العظم مني واشتعل الرأس شيبا اشتعل شبه مخالطة الشيب البياض لسواد شعر الرأس باشتعال النار الحطب اليابس - 00:24:21

وكما قال ابن دريد واشتعل المبيض في مسوده كاشتعال النار في جزل الغظاء خارط المشيب السواد فترة وجيزة ويقضي على كل سوداء فيه واشتعل الرأس شيبا تعالي يا مها على ان ليس هذا الوهن في العظم - 00:25:07

من مرض يمكن ان يزول لان الشاب قد يمرض تضعف عظامه وقوته ثم يمن الله عليه بالشفاء فتعود اليه صحته كما كان سابقا لكنه اكد ان هذا الوهن من الكبر - 00:25:45

ووهن العظم من الكبر لا يرجى له عود الى النشاط واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك ربي شقيا منذ من انت علي بالهداية والتوفيق ما جربت يا ربي ان دعوتك فرددت دعائي - 00:26:12

المرء اذا اجتهد في امر من الامور ثم وفق فيه للنجاح يقال سعد في عمله ونجح في عمله ولا يحس بهذا للتعب لانه وفق واذا اجتهد الامر العبد في امر من الامور - 00:26:55

ثم لم يوفق فيها يقال شقي في عمله هذا ما نال منه مراده وزكريا عليه السلام يجتهد في عبادة ربه ودعائه فيرى الاجابة استجابوا له باستمرار من ربه جل وعلا - 00:27:37

فلم يكن بدعاء الله شقيا بان يتعب ولا ينال شيئا فليتعب وينال مراده فيكون سعيدا بعمله هذا وقد قال العلماء انه يستحب للمرء اذا

اراد ان يدعو الله جل وعلا - 00:28:06
ان يجمع بين حاجته وفقره وتذلله وذكري تفضل المنعم جل وعلا ثم يسأل حاجته اخذ هذا من هذه الاية يذكر حاجته وفقره ثم يذكر تفضل المنعم جل وعلا وفضله واحسانه - 00:28:43
ثم يسأل حاجته ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا. هذا فيه ذكر الضعف. والافتقار لله جل وعلا والتجرد من الحول والقوة وانا العظم مني الرأس شيبا ثم ذكر - 00:29:27
تفضل المنعم جل وعلا وجوده واحسانه ما تعطي ما اسعد بل جربت منك الفضل والاحسان والجود والكرم ثم سأل حاجته واني خفت الموالي من ورائي. خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا - 00:29:56
فهب لي من لدنك وليا. جاء السؤال هنا هب لي من لدنك وليا خفت الموالي ما المراد بالموالي قيل العصبة الاعمام وقيل الكلالة الاقارب من غير الوالد والولد وقيل المراد الورثة - 00:30:39
خفت الموالي من ورائي خفت من بعدي خفت من من بعدي الا يقوموا بامرك يا ربي والدعوة الى طاعتك وعبادتك خفت ان يفرط قرابة فيما دعوتهم اليه واستجابوا له فاذا ذهبت - 00:31:25
اخشى ان يضيعوا ذلك فاريد من يقوم بهذا الامر من صلب على ما تحب يا ربي خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا والعاقر هي التي لا تلد سواء كانت - 00:32:18
صغيرة عرف عنها عدم الولادة او بلغت سن اليأس يقال لها عاقر وكانت امرأتي عاقرا فذكر شيئا من صفاته وفقره وحاجته وكبر سنه وذكر ان امرأة مثلها لا يلد ولكنه طمع - 00:32:57
في فضل الله جل وعلا واحسانه وكرمه ولانه قد عوده ذلك وانا معكم بدعائك ربي شقيا فسأل الولد فهب لي من لدنك وليا هب لي من لدنك من عندك يا ربي - 00:33:41
بفضلك واحسانك وجودك وكرمك وليا اجعله يلي امري من بعدي يرثني ويرث من ال يعقوب يا ريتوني ماذا يرث؟ ما له نبوته وعلمه قال بعض المفسرين يرثني يرث مالي ويرث من ال يعقوب - 00:34:11
النبوة والعلم وهذا قول رده كثير من المفسرين رحمهم الله وقالوا اولا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون لا تورث اموالهم لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء - 00:34:56
لا نورث ما تركناه صدقة ولم يكن زكريا عليه الصلاة والسلام ليهتم بماله بعد موته حتى يطلب من الله جل وعلا ولدا يأخذ ما له من بعده ولكنه اراد ان تبقى النبوة - 00:35:27
في من بعده يرث عنه النبوة من الله جل وعلا والعلم بان زكريا عليه السلام كما روي كبير ورئيس الحواريين فاراد ان يكون له ولد بهذه الصفة يقوم بمقام النبوة - 00:35:55
من بعده ويحافظ على هذه الوظيفة العظمى ويدعو اليها ويقوم بها خشية ان يترك اقرباء زكريا وعصبته هذا الامر الذي كانوا عليه معه في حياته فاراد ان يكون له من بعده ولد يقوم مقامه - 00:36:23
يرثني ويرث من ال يعقوب العلم والحكمة لانه من ذريتي يعقوب ابن اسحاق ابن إبراهيم عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ويعقوب هذا المسمى اسرائيل وهو والد يوسف عليه السلام - 00:37:08
يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله ربي رضيا رضيع راضيا مطمئنا مرضيا عنه عنه يا ربي وعن فعاله كما قال الله جل وعلا عنه عليه الصلاة والسلام في سورة ال عمران - 00:37:55
هنالك دعا زكريا ربه قال ربي هب لي من لدنك ذرية صالحة طيبة انك سميع الدعاء المسلم لا يسأل الذرية فقط او الولد وانما يسأل الصلاح والاستقامة لان بعض الذرية عدو - 00:38:30
وينال الوالد منه النكد والتعب والمشقة والعقوق والاذى كما قال الله جل وعلا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فبعضهم عدو واجعله ربي رضيا. لم يطلب الولد فقط وانما طلب - 00:39:01

ولدا متصف بهذه الصفات الرضا راض مطمئن مرضيا عنه ربه راض عنه والداه راضيان عنه فينال بهذا الرضا سعادة الدنيا والاخرة واجعله ربي تضرع الى الله جل وعلا بهذا الدعاء - 00:39:41

وربنا جل وعلا جواد كريم فاستجاب له دعاءه كما سيأتي ذلك في الايات بعد هذه والله اعلم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسول نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:40:28